تـمّ تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنـامج

كلمات من نور الله

الحلقة التاسعة والستون

المذيع : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ".. سورة الممتحنة .. الآية 12 .

مقدمة موسيقيـة .....

محسن : وبعد.. ماذا فعلت في جولتك الطويلة هذه ؟

كمال : الحقيقة أنني رأيت كثيراً وفعلت كثيراً أيضاً . يخيل إلي الآن وأنا أعود بالذاكرة إلى الأسابيع التي قضيتها في تلك الجولة وكأنني كنت أعيش في صميم مسرحية غريبة فيها المهزلة والمأساة ... ومن خلالهما بدا لي الإنسان في قوته وضعفه .. في إيمانه وإلحاده ... في سعادته وبؤسه .. فيما حققه من المنجزات المعجبة وتراجع أمامه من المسؤوليات .

محسن : يعني أنك في هذه الجولة قد حييت حياة مكثفة .

كمال : هذا إن صح التعبير .. لقد عشت الحياة اكثر من مرة واحدة وكنت حريصاً على أن أرى كل شيء وألامس كل ما يمكن ملامسته من أشياء الدنيا الواسعة ومعانيها.

محسن : لا بد أنك قد عدت إذاً بحصيلة ضخمة ...

كمال : لو كتب لي أن أسجل ملاحظاتي ، ولو أوتيت الموهبة التي تساعدني على وصف ما رأيت لملأت عدداً من المجلدات .

محسن : في هذه كان ما دفعته من المال قليلاً إلى جانب الفوائد التي حصلت عليها .

كمال : بل هو شيء لا يذكر .. " فترة صمت " لكن ظاهرة خاصة لفتت نظري في الجانب الغربي من الكرة الأرضية ... حيث تقوم دول أوروبا والقارة الأميركية وبالذات الجزء الشمالي منها .

حسن : ظاهرة خاصة ؟! قل ماذا ؟

كمال : يبدو لي أن حضارة الناس هناك تكاد تكون حضارة المرأة .

محسن : وكيف ذلك ؟

كمال : كل شيء في حياتهم ترمز المرأة إليه . فهم يرفعون صورها شعاراً لهم في كل ميدان حتى في معاركهم السياسية وخصوماتهم الاجتماعية ناهيك عن ميادين الصناعة والتجارة والزراعة فصورتها مع كل سلعة وأمام كل حقل زراعي وعند كل مصنع .

محسن : هذا كله يبدو لي صحيحاً . فقد انتقلت عدواه إلينا نحن في الشرق . ولكن ألم تلاحظ شيئاً آخر تتحقق به من واقع المرأة المعاش هناك ؟!

كمال : طبعاً هناك ظاهرة أخرى تتناقض في الوهلة الأولى مع الظاهرة الأولى . لقد لاحظت أن الأسرة وما ترمز إليه من الرحم والرحمة والتواد لم تعد موجودة على الصورة التي نتصورها نحن .

محسن : ولعلك لاحظت أيضاً أن أحاديثهم عن حرية المرأة ودعواتهم إلى تحريرها من القيود الاجتماعية كثيرة جداً .

كمال : آه ... لقد ذكرتني بمشهد أتيح لي أن أتابعه عن قرب قد يساعدك على تكوين فكرة واقعية عن شخصية المرأة ودورها فيما أسميته حضارة المرأة .... كان ذلك في مدينة من مدن إحدى الدول الأوروبية حين جاءني صديق لي إلى الفندق ...

طرق على الباب ..

كمال : ادخل ...

سليم : " يفتح الباب " مساء الخير يا كمال .

كمال : اهلا سليم . أدخل ..

سليم : كيف قضيت نهارك اليوم ؟

كمال : أتنقل من شارع إلى شارع وانظر إلى واجهات المحلات التجارية أو أراقب الناس والسيارات .

سليم : حسن جدا... فما رأيك في أن نقضي سهرة عند أحدى الأسر.

كمال هذه فرصة نادرة ليت أنها تتحقق .

سليم : أبشر . ستتحقق بعد ساعة .

كمال : طيب يا سليم .. هذه يد لا أنساها لك.

سليم : هيا بنا ..

نقلــة .....مؤثرات .....

جورج : " ضاحكاً " أعتقد أن السيد كمال يزور بلادنا لأول مرة لعلها أعجبتك ؟

كمال : جرت العادة أن يكون الجواب بالإيجاب . لكن الحقيقة أن بلادكم تتمتع بالمدن الكبيرة والشوارع الواسعة والبيوت الضخمة . ولكن هذا لا يكفي لمعرفة الناس .

جورج : هذا صحيح . لكن ألا تعتقد أن هذه المظاهر التي لفتت نظرك هي عنوان على طبيعة الشعب وعلامة على جده واجتهاده ؟! ..

كمال : بالطبع . ولكن لا تنسى يا سيد جورج أن الحضارات التي زالت قد بدأ زوالها وهي في قمة الترف . المهم أن أعرف الناس قبل كل شيء .

جورج : ما رأي السيد سليم في الموضوع ؟

سليم : أعتقد أن في نظرة كمال شيئاً يستحق التفكير .

كمال : اسمع يا سيد جورج .. الشيء الذي يلفت النظر عندكم أنكم تكثرون من الحديث عن الحريات الفردية وتجعلون منها دستوراً لكل حركاتكم .. ومما يثير الاهتمام أن هذه الحرية تتمثل أكثر مما تتمثل في دعوة المرأة الى الانطلاق من كل القيود وفي حض الرجال على تجاهل المسؤوليات الأسرية .

جورج : ألا ترى يا سيد كمال أن مشكلة البشرية هي اليوم مشكلة الخلاص من المحرمات التي قيدت حياة الأفراد ووضعت رقابة قاسية على تصرفاتهم .

كمال : المشكلة كما تبدو لي عندكم بالذات هي مشكلة الرغبة الملحة في الاستجابة للغرائز كلها باستثناء ما يتصل بشؤون الإدارات العامة والاقتصاد . يعني أنكم تحاولون القضاء على فكرة الالتزام بالقواعد في كل العلاقات الاجتماعية باستثناء العلاقات الاقتصادية من أجل تثمير الثروات المادية . أي أن الالتزام عندكم هو لغاية منفعية مادية وحسب .

جورج : ولكن لا تنسى أن القيمة المادية وعائدات الجهود المادي هي وحدها التي تمنحنا فرصة التفوق والاستقرار .

سليم : ومع ذلك فأنا باعتباري مقيماً منذ مدة طويلة أشهد ظاهرة تتناقض مع ما تقول : فالإحصاءات تؤكد أن أعلى نسبة من الانتحار وحوادث الطلاق موجودة عندكم ..

كمال : وأضيف إلى كلام الأخ **سليم** أن أعلى نسبة من الرجال والنساء الذين يعيشون متوحدين أو يبنون علاقات غير شرعية هي أيضاً موجودة في بلادكم..

جورج : قد يكون هذا صحيحاً ولكن ميزانياتنا والخدمات التي تقوم بها الدولة هي أكبر مما عندكم .

كمال : ذلك لأن التنافس بيننا وبينكم غير متكافىء . لقد بدأنا حين أنتم في مرحلة متقدمة جداً من الناحية المادية . أما خدمات الدولة فإن الكثير منها نابع من فشل الأسرة في النهوض لمسؤولياتها في مجتمعكم .

سليم : وأضيف إلى هذا كله أن مفهوم الحرية الذي تنوهون به يتلخص في أكثر جوانبه بالحرية الجنسية وحسب. فأنتم تحاولون كما يبدو لي أن تهربوا إلى الجنس حين لم تجدوا في تقاليدكم وأفكاركم ومعتقداتكم ونظمكم الاجتماعية ما يدخل الرضى الى نفوسكم أو يحقق لكم السعادة المرجوة.

كمال : وبذلك تحولت المرأة عندكم إلى رمز للإثارة وفقدت الى حد بعيد وظيفتها الاجتماعية الطبيعية .

جورج : أعتقد أن زوجتي قادرة على الاجابة . فما رأيك يا روز ؟!.

روز : أنا لا أفكر أن المرأة عندنا تتمتع بحرية الخروج والدخول وعقد الصداقات ولكنني لا أخفي عليكم أنها فقدت الشيء الذي تعتز به وهو كرامة الأنوثة وشروط الاستقرار العائلي . فهي تشعر بأنها مشدودة إلى الخارج فهي راضية بالخروج تنظر بأمل إلى ما وراء الحرية التي وجدتها ولكنها مع ذلك تعيش في دوار يثيرها ويحطم أعصابها . لقد فقدت طمأنينتها في النظام القديم لتعيش القلق المرضي فيما نسميه الحرية .

سليم : يعني أن السيدة روز غير بعيدة عنا في تشخيص الأوضاع.

كمال : وفي تقديري أن سبب هذه الأوضاع هو سوء فهم الحرية .

جورج : لم أدرك ما تعنيه من سوء فهم الحرية .

كمال : النظام القديم عندكم كان لا يعترف للمرأة بشخصيتها المدنية . فهربت منه إلى نظام جديد أعطاها شخصيتها المدنية ولكنها حرمها من أنوثتها وبالتالي من وظيفتها الاجتماعية الأساسية . فهي في الماضي كانت

خاضعة لنظام شبيه بنظام الحريم . وهي اليوم خاضعة لنظام يتجاهل انسانيتها لأنه يجعل منها رمزاً للجنس وحسب .

روز : لقد قلت الحقيقة يا سيد كمال.

جورج : ربما كان ما تقوله صحيحاً ولكن أية محاولة لتغيير هذا الواقع هو هدم للتوازن القائم في مجتمعنا العصري.

كمال : هذا صحيح أيضا .. ولكن واقع المرأة عندكم يجعل منها شيئاً وحسب ويقضي على القيم الطيبة التي يسميها الإسلام عندنا " مودة ورحمة " فهي حرة ولكن حريتها كحرية مجتمع الغاب لا يحميها فيه غير تدخل الدولة .

سليم : إن الحرية كما عينها الإسلام عندنا هي حرية من ضغوط الغرائز الوحشية.. إن في موقف الرجل منها أو في موقفها من الرجل . إن الحرية فى الاسلام تعني غسل دماغ كل الناس من الأفكار المسبقة . إن في علاقات الرجال بعضهم مع بعض أو في علاقاتهم مع النساء .

روز : أعتقد أن هذه الحرية تتوفر كاملة حين تتمتع المرأة بكامل شخصيتها المدنية وبحقها في الاختيار في الوقت نفسه الذي تحتفظ فيه بأنوثتها كأم وأخت وزوجة وبنت .

كمال : يا سيدة روز لقد نطقت برأي الإسلام .

جورج : وماذا يقول الإسلام في موضوع المرأة ؟!

كمال : اسمحوا لي أن أنقل إليكم حواراً جرى بيني وبين أخ مسلم عالم برأي الإسلام في هذا الموضوع .

روز : الواقع أنني مشوقة إلى الاستماع .

جورج : قل ونحن سامعون ...

كمال : كان ذلك قبل خروجي من وطني حين زرت صديقي محسن وهو يتحدث عن هذا الموضوع أمام بعض زواره ...

نقلـــة .... مؤثرات .....

محسن : وصلت في وقتك يا كمال .

كمال : خير إن شاء الله ..

محسن : كنت أتحدث مع الأخوان في معنى الحرية التي منحها الاسلام للمرأة.

كمال : وهل من يشك في ذلك ؟

محسن : مهما يكن الأمر فإن في المراجعة إفادة . إن ما يلفت نظري هو أن القرآن الكريم قد اعتبر المرأة لأول مرة في تاريخ المجتمع الانساني مساوية للرجل في حمل رسالة الإيمان . فما رأيك يا كمال .

كمال : عل هذا يظهر في بيعة النساء وبيعة الرجال .

محسن : أحسنت يا كمال.. لقد بايع الرسول عليه السلام المرأة كما بايع الرجل وبذلك يكون قد اعترف لها منذ الخطوة الأولى بالشخصية المسؤولة أمام الله والناس

كمال : أعتقد أن هذه هي الحرية الكبرى في الإسلام حين ندركها من خلال وعينا بمعنى العقيدة .

محسن : قال تعالى في سورة الممتحنة : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"..

كمال : ألا تعتقد يا أخ محسن أن هذه الآية الكريمة هي بداية اشتراك المرأة على قدم المساواة مع الرجل في صنع التاريخ ؟! .

محسن : طبعاً . لقد قاست كما قاسى الرجل . وعذبت وهاجرت والتحقت بالمقاتلين فأعطاها الإسلام من غنيمة الفتوح ما أعطاه للرجل كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما .

كمال : لقد فتحت يا أخ محسن شهيتنا للاستماع .

محسن : الحقيقة أن هذا الموضوع هو من الغزارة في القرآن الكريم بحيث يستحق أكثر من مجلس . يكفي أن نتذكر قول الله تعالى في أن المرأة والرجل قد خلقا من نفس واحدة . هل تذكر الآية يا أخ كمال ؟

كمال : طبعا . إنها تقول : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" . بالمناسبة ما رأيك يا أخ محسن لو نعمل باقتراحك فنخصص مجلساً آخر قبل سفري لبحث هذا الموضوع مع الأخوان .

محسن : حباً وكرامة .. فما رأي الأخوان ؟

أصوات : موافقون ...

نقلــة ... مؤثرات ....

روز : حوارك مع صديقك هذا حوار مثير ومفيد .

كمال : اعتقد أن الليل قد طال بنا ووفينا هذا الموضوع حقه كما سرني أنني قدمت إليكم شعاعة من شعاعات تراثنا الاسلامي..

جورج : كنا سعداء بهذا اللقاء يا سيد كمال وعسى السيد سليم أن يلم بنا فيما بعد .

سليم : سأكون سعيداً بزيارتكم إن شاء الله ...

موسيقـى نهايــة .....